﴿* وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: 65]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

اتِّفاقُ الغاياتِ ومَقاصِدِ القَصَصِ مع الزَّمان، ملحوظٌ في التَّرتيبِ، بين قصّة نُوحٍ وقصّةِ هودٍ

لمّا تمَّت قصَّةُ قوم نوحٍ ﷺ حسُنَ ذكرُ قصَّة عادٍ للسّياقِ؛ لأنَّهم كانوا بعدهم في الزَّمان، ولمشابهةٍ بين القصَّتين وقعَ في الغرضِ والغايةِ، فحسُن التَّرتيبُ، فالمناسبةُ بينهما تاريخيَّةٌ زمانيَّةٌ؛ لأنَّ قبيلة عادٍ "من أقدم الأمم وجودًا وآثارًا في الأرض، وهم - على ما يظهر - أقدمُ من إبراهيم، لذا ناسبَ ذكرُها بعد قصَّةِ نوحٍ مع قومهِ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَادٍ﴾: اسمٌ عربيٌّ؛ لأنَّ العادين كانوا يتكلَّمون بلغةِ العربِ، مشتقٌّ من العُدوان والاعتداءِ، وعادٌ كان أبًا لهؤلاء القَوْم، وكان من أحفاد نوحٍ ﷺ وهو عادُ بن عَوْص بن إرَم بنِ سام بن نوحٍ، وسَمَّوْه: عاديًا، وقومَه: عادين؛ لزيادة القهرِ والقوَّة والمال والنِّعمة فيهم، أو لزيادَة القَدِّ والقامَة[2]، فسمّيت القبيلةُ باسمِ أبيهم وهو عادُ بن عوص[3].

2) ﴿أَخَاهُمْ﴾: (أخو): الأخُ في الأصلِ مَن ولَده أبواكَ أو أحدُهُما، ويطلقُ أيضًا على الأخِ من الرِّضاعِ، ويُستعارُ الأخُ في كلِّ مشاركٍ لغيرهِ في القبيلةِ أو الصَّنعةِ أو الدّين أو المعاملةِ أو المودَّة أو غيرها من المناسبات، سمّي الأخوان لتأخّي كلِّ واحدٍ منهما ما يتأخّاه الآخر، والأخوَّة مشتَقَّةٌ من الأخيَّةِ: وهو حَبْل يُدْفن في الأرض، ويَبْرُزُ طَرَفٌ كالعُروة تُشدُّ إليه الدابَّة، فالأخوان مرتبطان بخروج كلٍّ منهما من

(1) الزحيلي، المنير: 8/260.
(2) الفيروزآبادي، البصائر: (عاد).
(3) العليمي، فتح الرحمن: 2/538، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/85.

نفس الصُّلب أو البطنِ الَّتي خرج منها الآخرُ أو منهما معًا[1]، وقوله تعالى: ﴿*وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، سمّاه أخًا تنبيهًا على إشفاقهِ عليهم شفقةَ الأخِ على أخيه، وأخاهم: أي: صاحبَهم ورسولهم[2].

3) ﴿هُودًا﴾: نبيٌّ كريمٌ عليه السلام "هو ابنُ عبدِ اللّهِ بنِ رباحِ بنِ الخلودِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرَم ابن سامِ بنِ نوحٍ، بعثه اللّهُ إلى عادٍ نبيًّا، وكان من أوسطِهم نسبًا، وأفضلِهم حسبًا، وهودٌ: اسمٌ أعجميٌّ، وانصرَفَ لخفَّتِه؛ لأنَّه على ثلاثةِ أحرفٍ، وبعثه اللّهُ بعدَ نوحٍ وقبلَ إبراهيم"[3].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

يخبرُ اللّهُ تعالى أنَّه أرسل إلى قبيلةِ عادٍ أخاهم هودًا، فهو من جنسِهم ومن نسبِهم؛ ليعرفوه، ويأنسوا به، وليفهَموا كلامه ومنطقه، فيكونوا أقربَ إلى تصديقهِ، قال هودٌ: يا قومُ، اعبدوا اللّه وحده، ولا تجعلوا معه إلهًا آخر، أفلا تتَّقون ربَّكم، وتبتعدون عمّا أنتم عليه من الشِّركِ والمعاصي[4].

إرشـادُ هـودٍ قومَه، أنّ عبادةَ الله وحدَه أصلُ الدَّعواتِ الإلهيَّةِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة العطْفِ على الحذف:

قوله تعالى: ﴿*وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ بتقدير محذوفٍ، تقديرهُ: "لقد أرسلنا نوحًا إلى قومهِ، وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هودًا"[5]، فهو من عطْفِ القصَّةِ على القصَّةِ، فقد عطفتِ الواو قصَّةَ هودٍ على قصَّة نوحٍ[6] عليه السلام.

من بديعِ البيانِ، عطفُ القِصَّةِ على القِصَّةِ، بتَقديرِ محذوفٍ مُنتزَعٍ منَ القصَّةِ السَّابقةِ

(1) ابن فارس، مجمل اللغة، وابن منظور، اللّسان، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (أخو).
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/299، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (أخو).
(3) العليمي، فتح الرحمن: 2/538.
(4) الزحيلي، المنير: 8/263.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/299.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/200، والآلوسي، روح المعاني: 4/392.

غَرَضُ تقديمِ المرسَلِ إليهم على المرسَل:

بيانُ الإشْعارِ بما سيكونُ لعادٍ من الإهلاكِ

قُدِّمَ ذكرُ ﴿عَادٍ﴾ على المفعولِ به الصَّريحِ ﴿أَخَاهُمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿*وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، ولم يقل: (وأرسلنا أخا عادٍ هودًا إلى عادٍ)؛ لسببينِ اثنينِ: الأوَّل لفظيٌّ: وهو إفادةُ "الإيجازِ بالإضمار؛ حيث أُريدَ وصفُ هودٍ بأنَّه من إخوة عادٍ ومن صميمِهم، من غير احتياجٍ إلى إعادة لفظ عاد"[1].

ولسببٍ آخرَ دلاليٌّ، وهو أنَّ في التَّركيبِ إشعارًا بأنَّ المذكورَ اللّاحق يُشابِه المذكورَ السّابق، فقصَّةُ عادٍ تُشابِه قصَّةَ قومِ نوحٍ، فإنَّ تقديمَ ﴿عَادٍ﴾ يُشعر بتقديمِ المقصودِ بالذِّكر بعد الانتهاءِ من تتميم قصَّةِ قوم نوحٍ، وما جرى لهم من الإغراقِ، فكأنَّه قال: ما حصل لقومِ نوحٍ سيحصلُ لعادٍ.

بَلاغةُ فصْلِ جُملةِ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ عمَّا قبْلَها:

ربْطُ الجُملِ برابطٍ مَعنويٍّ، يَتجلَّى في الاستئنافِ البيانيِّ

الجملةُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ مستأنفةٌ، فُصلت عن سابقِها، ولم تُعطَف؛ لأنَّها جاءت جوابًا عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ إرسالِه ﷺ إليهم كأنه قيل: فماذا قال لهم حين أرسل إليهم، ودعاهم؟ فقيل: قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[2]؛ ولم يحتج إلى عطفِها بالفاء؛ لأنَّ "الرَّبط بين الجملِ حاصلٌ في الحالتين؛ لأنَّ فاءَ العطفِ رابطٌ لفظيٌّ للمعطوفِ بالمعطوفِ عليه، وجوابُ السُّؤال رابطُ جملة الجوابِ بجملةِ مثارِ السُّؤال ربطًا معنويًّا"[3].

بَلاغةُ مَقُولِ القَولِ المُستَفتَحِ به الكلامُ ﴿يَٰقَوْمِ﴾:

تَنْبيهُ المخاطَبين بما سَيُلقَى من بَلاغةِ الخِطابِ

افتُتحت جملةُ مقولِ القولِ بحرف النِّداء في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ تنبيهًا لهم، وإثارةً لاهتمامِهم بمضمونِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/200.

(2) الزمخشري، الكشّاف: 2/116، وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/18، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/237.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/201.

قولِهِ الَّذي سيُلقيه عليهم. وخاطَبهم بكونهِم قومَهُ تذكيرًا "لهم بأنَّه أحدُهم يهمُّه ما يهمُّهم"[1]، فذكَّرهم بأواصرِ القرابةِ، وأنَّه لم يكن ليغشَّ قومهُ، ويكذبَ عليهم، وأضاف (القوم) إلى ضميرهِ ترقيقًا لهم وتحبُّبًا في مخاطبتِهم طمعًا في هداهم، وحُذفتْ ياءُ المتكلِّم تخفيفًا لكونِها ساكنةً وما بعدها ساكنٌ.

سِرُّ تكرارِ جُملةِ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ على ألْسِنةِ الرُّسُلِ:

دَعــوةُ الـرُّسـلِ واحـدةٌ، وغايةُ إرْسالِهم مُوحَّدةٌ

تكرَّرَ قولُه جلَّ شأنه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ في قصص الرُّسل؛ "لأنَّ الرُّسل مرسلون من الله، والحكمةُ من الإرسالِ واحدةٌ، فلا جرمَ أن تتشابهَ دعواتُهم"[2]، فلمّا كان المورِدُ واحدًا؛ فلا غرو أن تأتيَ الرِّسالات متوافقةً؛ ولأنَّ الحقيقة واحدةٌ، وهي أنَّ اللّه تعالى لا إله غيره، ومعاصي النّاس واحدةٌ، فلا جرم جاءت نصوصُ الرُّسلِ متوافقةً ومتماثلة.

غَرَضُ الاستئنافِ البيانيِّ، في قوله: ﴿مَا لَكُم﴾:

تَعليلُ العِبادةِ بالتَّوحيدِ، بيانٌ لعلَّةِ الإرسالِ

الجملةُ في قولِهِ جلَّ شأنه: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ جملةٌ استئنافيَّةٌ، والاستئنافُ هنا "جارٍ مجرى البيانِ للعبادة المأمور بها، والتَّعليلِ لها أو للأمر بها، كأنَّه قيل: خُصّوه بالعبادة، ولا تشركوا به شيئًا؛ إذ ليس لكم إلهٌ سواه"[3]، فالاستئنافُ جاء تعليلًا للأمرِ بالعبادة.

بَلاغةُ الكِنايةِ، باقْترانِ التَّقوى بالأمْرِ الصَّريحِ بالعِبادةِ:

مـنْ عـبَـدَ اللهَ واتّــقــاهُ، نـالَ الـحُـظْـوةَ عندَ خالِقِه ومَولاه

جاء الأمرُ صريحًا بالعبادة المقرونةِ بالتَّوحيد في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لكونه تعالى مستحقًّا ذلك لذاتِه، ولتكون العبادةُ له وحده دون ما كانوا يشركون

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/434.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/201 - 202.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/237، والآلوسي، روح المعاني: 4/393.

به[1]، وقرن ذلك بالحضِّ على التَّقوى، والمرادُ التَّحذير "من عقابِ اللّه تعالى على إشراكِهم غيره في العبادةِ واعتقاد الإلهيَّة"[2].

غَرَضُ الاستِفهامِ، في قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

الـذُّهـولُ عن عـذابِ الـلـه بـانـعـدامِ الـتَّـقـوَى، دليلُ الغَفْلةِ المُستحكِمةِ

غرضُ الاستفهامِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الإنكارُ، فهو "إنكارٌ واستبعادٌ لعدمِ اتِّقائِهم عذابَ اللّه تعالى بعدَ ما علموا ما حلَّ بقوم نوحٍ"[3]، كما أنَّ فيه تحضيضًا لهم وحثًّا على الإيمان وتحصيلِ التَّقوى[4]، فبعد أن ذكرَ التَّوحيد والأمر بالعبادةِ حثَّهم على تحقيق التَّقوى بالعبادةِ واعتقاد التَّوحيد.

دَلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

التَّقوَى نِتاجُ العِبادةِ الحقَّةِ، والتَّوحيدِ الخالِصِ

قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ بالفاءِ الدّالَّة على التَّفريع[5]، وهي الفاءُ التي تدلُّ على أنّ ما بعدها مترتِّبٌ على الكلام الذي قبلَها، متفرِّعٌ عنه، تبيِّن العلَّة والسَّبب، وتفصِّل الأمر، فالتَّقوى متفرِّعةٌ عن الأمرِ بالعبادةِ والتَّوحيد.

مُناسبةُ الفاصلةِ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ لسِياقِ الآياتِ:

خِتامُ الفواصلِ، مَـردودٌ على غاياتِ الابْتِداءِ

جاء في ختامِ الآية قولهُ تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ مناسبًا لسياقِ الآيات؛ لأنَّهم كانوا عارفينَ بما أصاب قومَ نوحٍ عليه السلام والمعنى: "أفلا تجعلونَ بينكم وبين عذابِ هذا الواحدِ الجبّارِ وقايةً"[6]، فالحثُّ على التَّقوى في الفاصلةِ مناسبٌ لما مرَّ في سياق الآيات.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/434، والمراغي، تفسير المراغي: 8/193.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/202.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/237.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/417، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/86.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/202، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/237.
(6) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/434.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»